خِتَامُ البِدَايَة

إِنَّ كُلَّ مَا ذَكَرْنَاهُ إِنَّمَا كَانَ حَوْلَ هَذِهِ (الحَيَاةِ الدُّنْيَوِيَّةِ) القَصِيرَةِ الَّتِي سُرْعَانَ مَا تَمْضِي وَتَنْقَضِي .. وَنِهَايَتُهَا لَيْسَتْ هِيَ النِّهَايَة .. إِنَّمَا هُيَ البِدَايَةُ لِحَيَاةٍ حَقِيقِيَّةٍ .. تِلْكَ (الحَيَاةُ الأُخْرَوِيَّةُ) الأَبَدِيَّةُ.

إِنَّ تَذَكُّرَكَ لِـ(الحَيَاةِ الأُخْرَوِيَّةِ) الأَبَدِيَّةِ وَأَنَّهَا لَيْسَتِ (النِّهَايَة) يُجَلِّي أَمَامَكَ ضَرُورَةُ اِخْتِيَارِ البِدَايَةِ الصَّحِيحَةِ لِهَذِهِ (الحَيَاةِ الدُّنْيَوِيَّةِ): مَنْ أَنْتَ؟ وَلِمَاذَا أَنْتَ هُنَا؟ وَإِلَى أَيْنَ أَنْتَ ذَاهِبٌ؟ وَمَاذَا سَتَتْرُكُ بَعْدَ رَحِيلِكَ؟

عِشْ كُلَّ لَحْظَةٍ مِنْ لَحَظَاتِ حَيَاتِكَ، وَابْدَأْ حَيَاةً جَدِيدَةً مَعَ إِطْلَالَةِ كُلِّ يَوْمٍ جَدِيدٍ؛ وَلَكِنْ لَا تَنْسَى (الهَدَفَ) الَّذِي تَعِيشُ مِنْ أَجْلِهِ هَذِهِ (الحَيَاةَ الدُّنْيَوِيَّةَ).

وَلِذَا؛ فَـ(إِدَارَةُ) هَذِهِ (الحَيَاةِ الدُّنْيَوِيَّةِ) لَيْسَتْ (هَدَفًا) فِي ذَاتِهَا وَلَا غَايَةً، وَلَا يُمْكِنُ أَبَدًا أَنْ تَكُونَ كَذَلِكَ.. إِنَّهَا لَا تُسَاوِي عِنْدَ اللهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ!!! .. إِنَّمَا هِيَ وَسِيلَةٌ لِلْوُصُولِ إِلَى الهَدَفِ الأَسْمَى .. إِلَى مَرْضَاةِ (اللهِ) ﷻ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ .. إِلَى الوُصُولِ إِلَى القُرْبِ مِنَ (اللهِ) .. فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ .. فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ ...

فَالوَاجِبُ عَلَى المُسْلِمِ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ (الهَدَفَ) الَّذِي خَلَقَهُ اللهُ ﷻ مِنْ أَجْلِهِ هُوَ: عِبَادَتُهُ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: **﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾** (الذَّارِيَات/ ٥٦)، وَلْيَعْلَمْ أَنَّ هَذِهِ الدَّارَ دَارُ عَمَلٍ وَلَيْسَتْ دَارَ رَاحَةٍ وَعَبَثٍ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: **﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لاَ تُرْجَعُونَ﴾** (المُؤْمِنُون/ ١١٥)، فَالدُّنْيَا مَزْرَعَةٌ لِلْآخِرَةِ؛ إِنْ زَرَعْتَ فِيهَا خَيْرًا جَنَيْتَ النَّعِيمَ المُقِيمَ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ، وَإِنْ زَرَعْتَ فِيهَا شَرًّا جَنَيْتَ العَذَابَ الأَلِيمَ فِي ذَلِكَ اليَوْمِ العَظِيمِ.

وَلَا يَتَنَافَى هَذَا مَعَ التَّمَتُّعِ بِمَا أَذِنَ اللهُ فِيهِ مِنْ هَذِهِ الدُّنْيَا؛ فَقَدْ قَالَ تَعَالَى: **﴿وَلاَ تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾** (القَصَص/ ٧٧)، وَقَالَ ﷺ: «**أَمَا وَاللهِ! إِنِّي لأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، وَلَكِنِّي أُصَلِّي وَأَنَامُ،**

وَأَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي». رَوَاهُ البُخَارِيُّ (ح ٤٧٧٦)، وَمُسْلِمٌ (ح ١٤٠١).

إِنَّ (رَسْمَ الأَهْدَافِ) نَوْعٌ مِنْ مَدِّ النَّظَرِ فِي جَوْفِ (المُسْتَقْبَلِ)، وَإِنَّ المُسْلِمَ الحَقَّ لَا يَكُونُ إِلَّا (مُسْتَقْبَلِيًّا)، وَإِنَّ (اللهَ) ﷻ يَحُثُّنَا عَلَى أَنْ نَتَفَكَّرَ فِي الآتِي وَأَنْ نَعْمَلَ لَهُ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ**﴾ (الحَشْر/ ١٨).

فَنَحْنُ بِحَاجَةٍ إِلَى أَنْ نُعَمِّمَ رُوحَ الِالْتِزَامِ نَحْوَ (الآخِرَةِ).

فَحَتَّى (مَوْتِكَ) .. هَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَجْعَلَهُ (حَيَاةً) لِلآخَرِينَ؟

أَنْ تَجْعَلَهُ نُقْطَةَ انْطِلَاقٍ نَحْوَ أَمَلٍ جَدِيدٍ؟ ...

عَنْ هِشَامِ بْنِ زَيْدٍ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:[1] «**إِنْ قَامَتْ عَلَى أَحَدِكُمُ الْقِيَامَةُ وَفِي يَدِهِ فَسِيلَةٌ** [وَهِيَ: الصَّغِيرَةُ مِنَ النَّخْلِ] **فَلْيَغْرِسْهَا**».

مَعَ أَنَّ (الفَسِيلَةَ) تَحْتَاجُ إِلَى سَنَوَاتٍ لِتُثْمِرَ!!!

وَفِي الحَدِيثِ: مُبَالَغَةٌ فِي الحَثِّ عَلَى غَرْسِ الأَشْجَارِ وَحَفْرِ الأَنْهَارِ؛ لِتَبْقَى هَذِهِ الدَّارُ [الدُّنْيَا] عَامِرَةً إِلَى آخِرِ أَمَدِهَا المَحْدُودِ المَعْدُودِ المَعْلُومِ عِنْدَ خَالِقِهَا، فَكَمَا غَرَسَ لَكَ غَيْرُكَ فَانْتَفَعْتَ بِهِ فَاغْرِسْ لِمَنْ يَجِيءُ بَعْدَكَ لِيَنْتَفِعَ؛ وَإِنْ لَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا صُبَابَةٌ[2] [الصُّبَابَةُ -بِالضَّمِّ؛ البَقِيَّةُ

---

(١) رَوَاهُ الطَّيَالِسِيُّ (ص ٢٧٥ ح ٢٠٦٨) ، وَأَحْمَدُ (٣/١٩١ ح ١٣٠٠٤)، وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ (ص ٣٦٦ ح ١٢١٦)، وَالبُخَارِيُّ فِي الأَدَبِ المُفْرَدِ (١/١٦٨ ح ٤٧٩)، وَالبَزَّارُ كَمَا فِي مَجْمَعِ الزَّوَائِدِ (٤/٦٣) وَقَالَ الهَيْثَمِيُّ: رِجَالُهُ أَثْبَاتٌ ثِقَاتٌ. وَالضِّيَاءُ (٧/٢٦٣ ح ٢٧١٤).

(٢) عَنْ خَالِدِ بْنِ عُمَيْرٍ الْعَدَوِيِّ قَالَ: خَطَبَنَا عُتْبَةُ بْنُ غَزْوَانَ فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ؛ ثُمَّ قَالَ: أَمَّا بَعْدُ! فَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ آذَنَتْ بِصُرْمٍ [أَيْ: بِانْقِطَاعٍ وَذَهَابٍ] وَوَلَّتْ حَذَّاءَ [أَيْ: مُسْرِعَةَ الانْقِطَاعِ]، وَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا إِلَّا صُبَابَةٌ كَصُبَابَةِ الإِنَاءِ يَتَصَابُّهَا صَاحِبُهَا، وَإِنَّكُمْ مُنْتَقِلُونَ مِنْهَا إِلَى دَارٍ لَا زَوَالَ لَهَا؛ فَانْتَقِلُوا بِخَيْرِ مَا بِحَضْرَتِكُمْ، فَإِنَّهُ قَدْ ذُكِرَ لَنَا أَنَّ الحَجَرَ يُلْقَى مِنْ شَفَةِ جَهَنَّمَ فَيَهْوِي فِيهَا سَبْعِينَ عَامًا لَا

اليَسِيرَةُ مِنَ المَاءِ وَاللَّبَنِ وَغَيْرِهِمَا مِنَ الشَّرَابِ تَبْقَى فِي الإِنَاءِ وَالسِّقَاءِ]، وَذَلِكَ بِهَذَا القَصْدِ لَا يُنَافِي الزُّهْدَ وَالتَّقَلُّلَ مِنَ الدُّنْيَا.

وَقَالَ الأَسَدِيُّ:

لَيْسَ الفَتَى بِفَتًى لاَ يُسْتَضَاءُ بِهِ وَلاَ يَكُونُ لَهُ فِي الأَرْضِ آثَارُ

❁❁❁❁❁

وَعَنْ أَبِي قَتَادَةَ قَالَ:(١) كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِذْ طَلَعَتْ جَنَازَةٌ؛ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مُسْتَرِيحٌ وَمُسْتَرَاحٌ مِنْهُ، المُؤْمِنُ يَمُوتُ فَيَسْتَرِيحُ مِنْ أَوْصَابِ(٢) الدُّنْيَا وَنَصَبِهَا وَأَذَاهَا، وَالْفَاجِرُ يَمُوتُ فَيَسْتَرِيحُ مِنْهُ الْعِبَادُ وَالْبِلَادُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ**».

❁❁❁❁❁

وَانْظُرْ وَاعْتَبِرْ بِقِصَّةِ الغُلاَمِ مَعَ المَلِكِ؛ كَيْفَ ضَحَّى بِنَفْسِهِ وَأَرْشَدَ المَلِكَ عَلَى كَيْفِيَّةِ قَتْلِهِ فِي سَبِيلِ أَنْ يُؤْمِنَ النَّاسُ بِاللهِ رَبِّ العَالَمِينَ؟!!!:

فَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ صُهَيْبٍ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**كَانَ مَلِكٌ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ؛**

يُدْرِكُ لَهَا قَعْرًا، وَوَاللهِ! لَتُمْلأَنَّ، أَفَعَجِبْتُمْ! وَلَقَدْ ذُكِرَ لَنَا أَنَّ مَا بَيْنَ مِصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ الجَنَّةِ مَسِيرَةُ أَرْبَعِينَ سَنَةً؛ وَلَيَأْتِيَنَّ عَلَيْهَا يَوْمٌ وَهُوَ كَظِيظٌ [الكَظِيظُ: المُمْتَلِئُ المَزْحُومُ] مِنَ الزِّحَامِ. وَلَقَدْ رَأَيْتُنِي سَابِعَ سَبْعَةٍ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ مَا لَنَا طَعَامٌ إِلاَّ وَرَقُ الشَّجَرِ حَتَّى قَرِحَتْ أَشْدَاقُنَا [قَرِحَتْ: خَرَجَتْ بِهَا قُرُوحٌ. وَالأَشْدَاقُ: جَوَانِبُ الفَمِ]؛ فَالْتَقَطْتُ بُرْدَةً فَشَقَقْتُهَا بَيْنِي وَبَيْنَ سَعْدِ بْنِ مَالِكٍ [أَيْ: سَعْد بْن أَبِي وَقَّاصٍ]، فَاتَّزَرْتُ بِنِصْفِهَا وَاتَّزَرَ سَعْدٌ بِنِصْفِهَا. فَمَا أَصْبَحَ الْيَوْمَ مِنَّا أَحَدٌ إِلاَّ أَصْبَحَ أَمِيرًا عَلَى مِصْرٍ مِنَ الأَمْصَارِ. وَإِنِّي أَعُوذُ بِاللهِ أَنْ أَكُونَ فِي نَفْسِي عَظِيمًا وَعِنْدَ اللهِ صَغِيرًا. وَإِنَّهَا لَمْ تَكُنْ نُبُوَّةٌ قَطُّ إِلاَّ تَنَاسَخَتْ؛ حَتَّى يَكُونَ آخِرُ عَاقِبَتِهَا مُلْكًا، فَسَتَخْبُرُونَ وَتُجَرِّبُونَ الأُمَرَاءَ بَعْدَنَا. رَوَاهُ مُسْلِمٌ (ح ٢٩٦٧)، وَأَحْمَدُ (ح١٨٠٤١، ٢١١٥١).

(١) رَوَاهُ النَّسَائِيُّ (٤/٤٨ ح ١٩٣١).

(٢) (أَوْصَاب): جَمْعُ (الوَصَب): وَهُوَ الوَجَعُ وَالأَلَمُ وَالمَرَضُ وَالسِّقَمُ الدَّائِمُ.

وَكَانَ لَهُ سَاحِرٌ، فَلَمَّا كَبِرَ؛ قَالَ لِلْمَلِكِ: إِنِّي قَدْ كَبِرْتُ، فَابْعَثْ إِلَيَّ غُلَامًا أُعَلِّمْهُ السِّحْرَ. فَبَعَثَ إِلَيْهِ غُلَامًا يُعَلِّمُهُ، فَكَانَ فِي طَرِيقِهِ إِذَا سَلَكَ رَاهِبٌ؛ فَقَعَدَ إِلَيْهِ وَسَمِعَ كَلَامَهُ، فَأَعْجَبَهُ، فَكَانَ إِذَا أَتَى السَّاحِرَ مَرَّ بِالرَّاهِبِ؛ وَقَعَدَ إِلَيْهِ، فَإِذَا أَتَى السَّاحِرَ ضَرَبَهُ، فَشَكَا ذَلِكَ إِلَى الرَّاهِبِ؛ فَقَالَ: إِذَا خَشِيتَ السَّاحِرَ؛ فَقُلْ حَبَسَنِي أَهْلِي. وَإِذَا خَشِيتَ أَهْلَكَ؛ فَقُلْ حَبَسَنِي السَّاحِرُ. فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ؛ إِذْ أَتَى عَلَى دَابَّةٍ عَظِيمَةٍ قَدْ حَبَسَتِ النَّاسَ؛ فَقَالَ: الْيَوْمَ أَعْلَمُ آلسَّاحِرُ أَفْضَلُ أَمِ الرَّاهِبُ أَفْضَلُ؟ فَأَخَذَ حَجَرًا؛ فَقَالَ: اللَّهُمَّ! إِنْ كَانَ أَمْرُ الرَّاهِبِ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ أَمْرِ السَّاحِرِ فَاقْتُلْ هَذِهِ الدَّابَّةَ حَتَّى يَمْضِيَ النَّاسُ. فَرَمَاهَا فَقَتَلَهَا وَمَضَى النَّاسُ، فَأَتَى الرَّاهِبَ فَأَخْبَرَهُ؛ فَقَالَ لَهُ الرَّاهِبُ: أَيْ بُنَيَّ! أَنْتَ الْيَوْمَ أَفْضَلُ مِنِّي. قَدْ بَلَغَ مِنْ أَمْرِكَ مَا أَرَى، وَإِنَّكَ سَتُبْتَلَى، فَإِنِ ابْتُلِيتَ فَلَا تَدُلَّ عَلَيَّ. وَكَانَ الْغُلَامُ يُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَيُدَاوِي النَّاسَ مِنْ سَائِرِ الْأَدْوَاءِ، فَسَمِعَ جَلِيسٌ لِلْمَلِكِ كَانَ قَدْ عَمِيَ، فَأَتَاهُ بِهَدَايَا كَثِيرَةٍ؛ فَقَالَ: مَا هَا هُنَا لَكَ أَجْمَعُ إِنْ أَنْتَ شَفَيْتَنِي. فَقَالَ: إِنِّي لَا أَشْفِي أَحَدًا؛ إِنَّمَا يَشْفِي اللَّهُ، فَإِنْ أَنْتَ آمَنْتَ بِاللَّهِ دَعَوْتُ اللَّهَ فَشَفَاكَ. فَآمَنَ بِاللَّهِ؛ فَشَفَاهُ اللَّهُ، فَأَتَى الْمَلِكَ فَجَلَسَ إِلَيْهِ كَمَا كَانَ يَجْلِسُ؛ فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَنْ رَدَّ عَلَيْكَ بَصَرَكَ؟ قَالَ: رَبِّي. قَالَ: وَلَكَ رَبٌّ غَيْرِي؟ قَالَ: رَبِّي وَرَبُّكَ اللَّهُ. فَأَخَذَهُ، فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّى دَلَّ عَلَى الْغُلَامِ، فَجِيءَ بِالْغُلَامِ؛ فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: أَيْ بُنَيَّ! قَدْ بَلَغَ مِنْ سِحْرِكَ مَا تُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَتَفْعَلُ وَتَفْعَلُ. فَقَالَ: إِنِّي لَا أَشْفِي أَحَدًا؛ إِنَّمَا يَشْفِي اللَّهُ. فَأَخَذَهُ؛ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّى دَلَّ عَلَى الرَّاهِبِ، فَجِيءَ بِالرَّاهِبِ؛ فَقِيلَ لَهُ: ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ. فَأَبَى، فَدَعَا بِالْمِنْشَارِ [أَيْ: الْمِنْشَار]؛ فَوَضَعَ الْمِنْشَارَ فِي مَفْرِقِ رَأْسِهِ، فَشَقَّهُ حَتَّى وَقَعَ شِقَّاهُ، ثُمَّ جِيءَ بِجَلِيسِ الْمَلِكِ؛ فَقِيلَ لَهُ: ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ. فَأَبَى، فَوَضَعَ الْمِنْشَارَ فِي مَفْرِقِ رَأْسِهِ فَشَقَّهُ بِهِ حَتَّى وَقَعَ شِقَّاهُ، ثُمَّ جِيءَ بِالْغُلَامِ؛ فَقِيلَ لَهُ: ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ. فَأَبَى، فَدَفَعَهُ إِلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ؛ فَقَالَ: اذْهَبُوا بِهِ إِلَى جَبَلِ كَذَا وَكَذَا، فَاصْعَدُوا بِهِ الْجَبَلَ، فَإِذَا بَلَغْتُمْ ذُرْوَتَهُ؛ فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ وَإِلَّا فَاطْرَحُوهُ. فَذَهَبُوا بِهِ، فَصَعِدُوا بِهِ الْجَبَلَ؛ فَقَالَ: اللَّهُمَّ! اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ. فَرَجَفَ بِهِمُ الْجَبَلُ؛ فَسَقَطُوا، وَجَاءَ يَمْشِي إِلَى الْمَلِكِ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ؟ قَالَ: كَفَانِيهِمُ اللَّهُ. فَدَفَعَهُ

إِلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ؛ فَقَالَ: اذْهَبُوا بِهِ. فَاحْمِلُوهُ فِي قُرْقُورٍ [أَيْ: سَفِينَة]، **فَتَوَسَّطُوا بِهِ الْبَحْرَ، فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ وَإِلاَّ فَاقْذِفُوهُ. فَذَهَبُوا بِهِ؛ فَقَالَ: اللَّهُمَّ! اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ. فَانْكَفَأَتْ بِهِمُ السَّفِينَةُ؛ فَغَرِقُوا، وَجَاءَ يَمْشِي إِلَى الْمَلِكِ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ؟ قَالَ: كَفَانِيهِمُ اللهُ. فَقَالَ لِلْمَلِكِ: إِنَّكَ لَسْتَ بِقَاتِلِي؛ حَتَّى تَفْعَلَ مَا آمُرُكَ بِهِ. قَالَ: وَمَا هُوَ؟ قَالَ: تَجْمَعُ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، وَتَصْلُبُنِي عَلَى جِذْعٍ، ثُمَّ خُذْ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِي** [أَيْ: وِعَاء السِّهَامِ]، **ثُمَّ ضَعِ السَّهْمَ فِي كَبِدِ الْقَوْسِ، ثُمَّ قُلْ: بِاسْمِ اللهِ رَبِّ الْغُلَامِ. ثُمَّ ارْمِنِي، فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ قَتَلْتَنِي. فَجَمَعَ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، وَصَلَبَهُ عَلَى جِذْعٍ، ثُمَّ أَخَذَ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِهِ، ثُمَّ وَضَعَ السَّهْمَ فِي كَبِدِ الْقَوْسِ، ثُمَّ قَالَ: بِاسْمِ اللهِ رَبِّ الْغُلَامِ. ثُمَّ رَمَاهُ، فَوَقَعَ السَّهْمُ فِي صُدْغِهِ، فَوَضَعَ يَدَهُ فِي صُدْغِهِ فِي مَوْضِعِ السَّهْمِ؛ فَمَاتَ. فَقَالَ النَّاسُ: آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ، آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ، آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ. فَأُتِيَ الْمَلِكُ؛ فَقِيلَ لَهُ: أَرَأَيْتَ مَا كُنْتَ تَحْذَرُ؟ قَدْ -وَاللهِ- نَزَلَ بِكَ حَذَرُكَ، قَدْ آمَنَ النَّاسُ. فَأَمَرَ بِالأُخْدُودِ** [أَيْ: الشَّق العَظِيم فِي الأَرْضِ] **فِي أَفْوَاهِ السِّكَكِ؛ فَخُدَّتْ، وَأَضْرَمَ النِّيرَانَ، وَقَالَ: مَنْ لَمْ يَرْجِعْ عَنْ دِينِهِ؛ فَأَحْمُوهُ فِيهَا. أَوْ قِيلَ لَهُ: اقْتَحِمْ. فَفَعَلُوا، حَتَّى جَاءَتِ امْرَأَةٌ وَمَعَهَا صَبِيٌّ لَهَا؛ فَتَقَاعَسَتْ** [أَيْ: تَوَقَّفَتْ وَلَزِمَتْ مَوْضِعَهَا وَامْتَنَعَتْ عَنِ التَّقَدُّمِ] **أَنْ تَقَعَ فِيهَا، فَقَالَ لَهَا الْغُلَامُ: يَا أُمَّهِ! اصْبِرِي، فَإِنَّكِ عَلَى الْحَقِّ**».

فَالغُلَامُ هُوَ الَّذِي دَلَّ المَلِكَ عَلَى كَيْفِيَّةِ قَتْلِ المَلِكِ لَهُ؛ فَتَنَبَّهْ!

إِنَّهُ لَا يَبْحَثُ عَنْ مُجَرَّدِ خَلَاصِ نَفْسِهِ .. عَنْ ذَاتِيَّتِهِ الفَرْدِيَّةِ، بَلْ يُرِيدُ أَنْ يَعُمَّ الخَيْرُ وَيَنْتَشِرَ الإِيمَانُ .. أَنْ يَخْرُجَ النَّاسُ مِنْ حَقَارَةِ وَدَنَاءَةِ العُبُودِيَّةِ لِكُلِّ حَقِيرٍ وَدَنِيءٍ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ؛ إِلَى سِمُوِّ عُبُودِيَّةِ اللهِ الوَاحِدِ الأَحَدِ.

❁❁❁❁❁

وَفِي صَحِيحِ البُخَارِيِّ عَنْ أَنَسٍ ﷺ، عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**مَنْ**

أَحَبَّ لِقَاءَ اللهِ أَحَبَّ اللهُ لِقَاءَهُ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللهِ كَرِهَ اللهُ لِقَاءَهُ». قَالَتْ عَائِشَةُ أَوْ بَعْضُ أَزْوَاجِهِ: إِنَّا لَنَكْرَهُ المَوْتَ. [وَفِي رِوَايَةٍ: فَقَالَتْ: يَا نَبِيَّ اللهِ! أَكَرَاهَةُ المَوْتِ؟ فَكُلُّنَا نَكْرَهُ المَوْتَ.] قَالَ: «**لَيْسَ ذَاكَ، وَلَكِنَّ المُؤْمِنَ إِذَا حَضَرَهُ المَوْتُ بُشِّرَ بِرِضْوَانِ اللهِ وَكَرَامَتِهِ، فَلَيْسَ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا أَمَامَهُ، فَأَحَبَّ لِقَاءَ اللهِ وَأَحَبَّ اللهُ لِقَاءَهُ، وَإِنَّ الْكَافِرَ إِذَا حُضِرَ بُشِّرَ بِعَذَابِ اللهِ وَعُقُوبَتِهِ، فَلَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَهَ إِلَيْهِ مِمَّا أَمَامَهُ، كَرِهَ لِقَاءَ اللهِ وَكَرِهَ اللهُ لِقَاءَهُ**».

وَفِي حَدِيثِ حُمَيْدٍ عَنْ أَنَسٍ ﷺ: «**وَلَكِنَّ المُؤْمِنَ إِذَا حُضِرَ؛ جَاءَهُ الْبَشِيرُ مِنَ اللهِ وَلَيْسَ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ أَنْ يَكُونَ قَدْ لَقِيَ اللهَ، فَأَحَبَّ اللهُ لِقَاءَهُ**». وَفِي رِوَايَةِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَى: «**وَلَكِنَّهُ إِذَا حَضَرَ؛ فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ، فَإِذَا بُشِّرَ بِذَلِكَ أَحَبَّ لِقَاءَ اللهِ وَاللهُ لِلِقَائِهِ أَحَبُّ**».

وَفِي رِوَايَةٍ: ... فَأَكَبَّ الْقَوْمُ يَبْكُونَ؛ وَقَالُوا: إِنَّا نَكْرَهُ المَوْتَ. قَالَ: «**لَيْسَ ذَلِكَ**». وَلِابْنِ أَبِي شَيْبَةَ مِنْ طَرِيقِ أَبِي سَلَمَةَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ نَحْوَ حَدِيثِ الْبُخَارِيِّ السَّابِقِ؛ وَفِيهِ: قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ! مَا مِنَّا مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَهُوَ يَكْرَهُ المَوْتَ. فَقَالَ: «**إِذَا كَانَ ذَلِكَ كُشِفَ لَهُ**».

وَقَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ فِي النِّهَايَةِ: المُرَادُ بِـ(لِقَاءِ اللهِ) هُنَا المَصِيرُ إِلَى الدَّارِ الْآخِرَةِ وَطَلَبُ مَا عِنْدَ اللهِ، وَلَيْسَ الْغَرَضُ بِهِ المَوْتَ لِأَنَّ كُلًّا يَكْرَهُهُ فَمَنْ تَرَكَ الدُّنْيَا وَأَبْغَضَهَا أَحَبَّ لِقَاءَ اللهِ، وَمَنْ آثَرَهَا وَرَكَنَ إِلَيْهَا كَرِهَ لِقَاءَ اللهِ؛ لِأَنَّهُ إِنَّمَا يَصِلُ إِلَيْهِ بِالمَوْتِ. وَقَوْلُ عَائِشَةَ: (وَالمَوْتُ دُونَ لِقَاءِ اللهِ)؛ يُبَيِّنُ أَنَّ المَوْتَ غَيْرُ اللِّقَاءِ وَلَكِنَّهُ مُعْتَرِضٌ دُونَ الْغَرَضِ المَطْلُوبِ فَيَجِبُ أَنْ يَصْبِرَ عَلَيْهِ وَيَحْتَمِلَ مَشَاقَّهُ حَتَّى يَصِلَ إِلَى الْفَوْزِ بِاللِّقَاءِ. قَالَ الطِّيبِيُّ: يُرِيدُ أَنَّ قَوْلَ عَائِشَةَ: (إِنَّا لَنَكْرَهُ المَوْتَ) يُوهِمُ أَنَّ المُرَادَ بِلِقَاءِ اللهِ فِي الحَدِيثِ المَوْتُ وَلَيْسَ كَذَلِكَ؛ لِأَنَّ لِقَاءَ اللهِ غَيْرُ المَوْتِ بِدَلِيلِ قَوْلِهِ فِي الرِّوَايَةِ الْأُخْرَى: وَالمَوْتُ دُونَ لِقَاءِ اللهِ. لَكِنْ لَمَّا كَانَ المَوْتُ وَسِيلَةً إِلَى لِقَاءِ اللهِ عُبِّرَ عَنْهُ بِلِقَاءِ اللهِ.

وَقَدْ سَبَقَ اِبْنَ الْأَثِيرِ إِلَى تَأْوِيلِ لِقَاءِ الله بِغَيْرِ المَوْتِ الْإِمَامُ أَبُو عُبَيْدٍ الْقَاسِمُ بْن سَلَّامٍ؛ فَقَالَ: لَيْسَ وَجْهُهُ عِنْدِي كَرَاهَةَ المَوْتِ وَشِدَّتَهُ؛ لِأَنَّ هَذَا لَا يَكَادُ يَخْلُو عَنْهُ أَحَدٌ، وَلَكِنَّ المَذْمُومَ مِنْ ذَلِكَ إِيثَارُ الدُّنْيَا وَالرُّكُونُ إِلَيْهَا وَكَرَاهِيَةُ أَنْ يَصِيرَ إِلَى الله وَالدَّارِ الْآخِرَةِ. قَالَ: وَمِمَّا يُبَيِّنُ ذَلِكَ أَنَّ اللهَ تَعَالَى عَابَ قَوْمًا بِحُبِّ الحَيَاةِ؛ فَقَالَ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا﴾.

وَقَالَ الخَطَّابِيُّ: مَعْنَى مَحَبَّةِ الْعَبْدِ لِلِّقَاءِ الله إِيثَارُهُ الْآخِرَةَ عَلَى الدُّنْيَا فَلَا يُحِبُّ اِسْتِمْرَارَ الْإِقَامَةِ فِيهَا بَلْ يَسْتَعِدُّ لِلِارْتِحَالِ عَنْهَا، وَالْكَرَاهَةُ بِضِدِّ ذَلِكَ.

وَقَالَ النَّوَوِيُّ: مَعْنَى الحَدِيثِ أَنَّ المَحَبَّةَ وَالْكَرَاهَةَ الَّتِي تُعْتَبَر شَرْعًا هِيَ الَّتِي تَقَعُ عِنْد النَّزْعِ فِي الحَالَةِ الَّتِي لَا تُقْبَلُ فِيهَا التَّوْبَةُ حَيْثُ يُكْشَفُ الحَالُ لِلْمُحْتَضِرِ وَيَظْهَرُ لَهُ مَا هُوَ صَائِرٌ إِلَيْهِ.

وَفِي هَذَا الحَدِيثِ مِنْ الْفَوَائِدِ غَيْرُ مَا تَقَدَّمَ:

أَنَّ المُجَازَاةَ مِنْ جِنْسِ الْعَمَلِ؛ فَإِنَّهُ قَابَلَ المَحَبَّةَ بِالمَحَبَّةِ وَالْكَرَاهَةَ بِالْكَرَاهَةِ.

وَفِيهِ أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ يَرَوْنَ رَبَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ، وَكُلُّ مَنْ يَكْرَهُ المَوْتَ إِنَّمَا يَكْرَهُهُ خَشْيَةَ أَنْ لَا يَلْقَى ثَوَابَ الله؛ إِمَّا لِإِبْطَائِهِ عَنْ دُخُولِ الجَنَّةِ بِالشُّغْلِ بِالتَّبَعَاتِ، وَإِمَّا لِعَدَمِ دُخُلِهَا أَصْلًا كَالْكَافِرِ.

وَفِيهِ أَنَّ الْمُحْتَضِرَ إِذَا ظَهَرَتْ عَلَيْهِ عَلَامَاتُ السُّرُورِ كَانَ ذَلِكَ دَلِيلًا عَلَى أَنَّهُ بُشِّرَ بِالخَيْرِ وَكَذَا بِالْعَكْسِ.

وَفِيهِ أَنَّ مَحَبَّةَ لِقَاءِ الله لَا تَدْخُلُ فِي النَّهْيِ عَنْ تَمَنِّي المَوْت لِأَنَّهَا مُمْكِنَةٌ مَعَ عَدَم تَمَنِّي المَوْتِ؛ كَأَنْ تَكُون المَحَبَّةُ حَاصِلَةً لَا يَفْتَرِقُ حَالُهُ فِيهَا بِحُصُولِ المَوْتِ وَلَا بِتَأَخُّرِهِ، وَأَنَّ النَّهْي عَنْ تَمَنِّي المَوْت مَحْمُولٌ عَلَى حَالَة الحَيَاة المُسْتَمِرَّة، وَأَمَّا عِنْدَ الِاحْتِضَارِ وَالمُعَايَنَةِ فَلَا تَدْخُلُ تَحْتَ النَّهْيِ بَلْ هِيَ مُسْتَحَبَّةٌ.

وَفِيهِ أَنَّ فِي كَرَاهَةِ المَوْتِ فِي حَالِ الصِّحَّةِ تَفْصِيلًا: فَمَنْ كَرِهَهُ إِيثَارًا لِلْحَيَاةِ عَلَى مَا بَعْد المَوْتِ مِنْ نَعِيمِ الْآخِرَةِ كَانَ مَذْمُومًا، وَمَنْ كَرِهَهُ خَشْيَةَ أَنْ يُفْضِيَ إِلَى المُؤَاخَذَةِ كَأَنْ يَكُونَ مُقَصِّرًا فِي

الْعَمَلِ لَمْ يَسْتَعِدَّ لَهُ بِالْأُهْبَةِ بِأَنْ يَتَخَلَّصَ مِنْ التَّبِعَاتِ وَيَقُومَ بِأَمْرِ اللهِ كَمَا يَجِبُ فَهُوَ مَعْذُورٌ، لَكِنْ يَنْبَغِي لِمَنْ وَجَدَ ذَلِكَ أَنْ يُبَادِرَ إِلَى أَخْذِ الْأُهْبَةِ حَتَّى إِذَا حَضَرَهُ الْمَوْتُ لَا يَكْرَهُهُ بَلْ يُحِبُّهُ لِمَا يَرْجُو بَعْدَهُ مِنْ لِقَاءِ اللهِ تَعَالَى.

وَفِيهِ أَنَّ اللهَ تَعَالَى لَا يَرَاهُ فِي الدُّنْيَا أَحَدٌ مِنْ الْأَحْيَاءِ وَإِنَّمَا يَقَعُ ذَلِكَ لِلْمُؤْمِنِينَ بَعْدَ الْمَوْتِ؛ أَخْذًا مِنْ قَوْلِهِ: «**وَالْمَوْتُ دُونَ لِقَاءِ اللهِ**» وَاللِّقَاءُ أَعَمُّ مِنْ الرُّؤْيَةِ، فَإِذَا انْتَفَى اللِّقَاءُ انْتَفَتْ الرُّؤْيَةُ وَقَدْ وَرَدَ بِأَصْرَحَ مِنْ هَذَا فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ مِنْ حَدِيثِ أَبِي أُمَامَةَ مَرْفُوعًا فِي حَدِيثٍ طَوِيلٍ وَفِيهِ: «**وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ لَنْ تَرَوْا رَبَّكُمْ حَتَّى تَمُوتُوا**». انْظُرْ: (فَتْح البَارِي)

وَانْظُرْ: قِصَّةَ (ضِفْدَعَتَانِ فِي بِئْرٍ):

كَانَتْ مَجْمُوعَةٌ مِنَ الضَّفَادِعِ تَقْفِزُ مُسَافِرَةً بَيْنَ الغَابَاتِ، وَفَجْأَةً وَقَعَتْ ضِفْدَعَتَانِ فِي بِئْرٍ عَمِيقٍ.

تَجَمَّعَ جُمْهُورُ الضَّفَادِعِ حَوْلَ البِئْرِ، وَلَمَّا شَاهَدَا مَدَى عُمْقِهِ صَاحَ الجُمْهُورُ بِالضِّفْدَعَتَيْنِ اللَّتَيْنِ فِي الأَسْفَلِ أَنَّ حَالَتَهُمَا مَيْئُوسٌ مِنْهَا وَأَنَّهُمَا كَالأَمْوَاتِ.

تَجَاهَلَتِ الضِّفْدَعَتَانِ تِلْكَ التَّعْلِيقَاتِ، وَحَاوَلَتَا الخُرُوجَ مِنْ ذَلِكَ البِئْرِ بِكُلِّ مَا أُوتِيَتَا مِنْ قُوَّةٍ وَطَاقَةٍ؛ وَاسْتَمَرَّ جُمْهُورُ الضَّفَادِعِ بِالصِّيَاحِ بِهِمَا أَنْ تَتَوَقَّفَا عَنِ المُحَاوَلَةِ؛ لأَنَّهُمَا مَيْتَتَانِ لَا مَحَالَةَ.

أَخِيرًا؛ انْصَاعَتْ إِحْدَى الضِّفْدَعَتَيْنِ، وَاعْتَرَاهَا اليَأْسُ؛ فَسَقَطَتْ إِلَى أَسْفَلِ البِئْرِ مَيْتَةً.

أَمَّا الضِّفْدَعَةُ الأُخْرَى فَقَدْ دَأَبَتْ عَلَى القَفْزِ بِكُلِّ قُوَّتِهَا. وَمَرَّةً أُخْرَى صَاحَ جُمْهُورُ الضَّفَادِعِ بِهَا طَالِبِينَ مِنْهَا أَنْ تَضَعَ حَدًّا لِلأَلَمِ وَتَسْتَسْلِمَ لِلْمَوْتِ؛ وَلَكِنَّهَا أَخَذَتْ تَقْفِزُ بِشَكْلٍ أَسْرَعَ حَتَّى وَصَلَتْ إِلَى الحَافَّةِ، وَمِنْهَا إِلَى الخَارِجِ.

عِنْدَ ذَلِكَ سَأَلَهَا جُمْهُورُ الضَّفَادِعِ: «أَتَرَاكِ لَمْ تَسْمَعِي صِيَاحَنَا؟!» شَرَحَتْ لَهُمُ الضِّفْدَعَةُ أَنَّهَا مُصَابَةٌ بِصَمَمٍ جُزْئِيٍّ فَلَمْ تَسْمَعْ، لِذَلِكَ كَانَتْ تَظُنُّ -وَهِيَ فِي الأَعْمَاقِ- أَنَّ قَوْمَهَا يُشَجِّعُونَهَا عَلَى إِنْجَازِ المَهَمَّةِ الخَطِيرَةِ طُوَالَ الوَقْتِ!!!

ثَلَاثُ عِظَاتٍ يُمْكِنُ أَخْذُهَا مِنَ القِصَّةِ:

أَوَّلًا: قُوَّةُ المَوْتِ وَالحَيَاةِ تَكْمُنُ فِي اللِّسَانِ، فَكَلِمَةٌ مُشَجِّعَةٌ لِمَنْ هُوَ فِي الأَسْفَلِ قَدْ تَرْفَعُهُ إِلَى الأَعْلَى وَتَجْعَلُهُ يُحَقِّقُ مَا يَصْبُو إِلَيْهِ. [وَلِذَلِكَ عَلَيْكَ أَنْ تُشَجِّعَ نَفْسَكَ دَائِمًا .. وَلَا تَعْجَزْ .. وَلَا تَيْأَسْ (فَلَا يَأْسَ مَعَ الحَيَاةِ، وَلَا حَيَاةَ مَعَ اليَأْسِ)، وَكَذَلِكَ عَلَيْكَ أَنْ لَا تَكُفَّ عَنْ تَشْجِيعِ وَلَدِكَ وَمَنْ تُحِبُّ .. وَابْعَثْ فِي نُفُوسِهِمْ (الأَمَلَ)]

ثَانِيًا: أَمَّا الكَلِمَةُ المُحْبِطَةُ لِمَنْ هُوَ فِي الأَسْفَلِ فَقَدْ تَقْتُلُهُ، لِذَلِكَ اِنْتَبِهْ لِمَا تَقُولُهُ، وَامْنَحِ الحَيَاةَ لِمَنْ يَعْبُرُونَ فِي طَرِيقِكَ.

ثَالِثًا: يُمْكِنُكَ أَنْ تُنْجِزَ مَا قَدْ هَيَّأْتَ عَقْلَكَ لَهُ وَأَعْدَدْتَ نَفْسَكَ لِفِعْلِهِ؛ فَقَطْ لَا تَدَعِ الآخَرِينَ يَجْعَلُونَكَ تَعْتَقِدُ أَنَّكَ لَا تَسْتَطِيعُ ذَلِكَ!!!

فَانْظُرْ لِمَا فِي اللِّسَانِ مِنْ قُوَّةٍ؛ إِنَّهَا قُوَّةُ الحَيَاةِ وَالمَوْتِ ... فَكَلِمَةٌ تَشْجِيعٍ لِإِنْسَانٍ فِي حَالَةِ يَأْسٍ سَتَرْفَعُهُ وَتُعْطِيهِ مَقْدِرَةً لِلاسْتِمْرَارِ. أَمَّا كَلِمَةٌ مُحْبِطَةٌ فَإِنَّهَا مُحَطِّمَةٌ وَتَقْضِي عَلَيْهِ وَتَهْدِمُهُ؛ بَلْ رُبَّمَا تَكُونُ مُمِيتَةً!!

❁❁❁❁❁

بَعْض (المَشَاكِلِ) تَحْتَاجُ لِحَلِّهَا إِلَى تَفْكِيرٍ عَمِيقٍ .. كَحَلِّ (يُوسُفَ عليه السلام) لِأَزْمَةِ المَجَاعَةِ فِي مِصْرَ.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿**قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَباً فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّا تَأْكُلُونَ ۞ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّا تُحْصِنُونَ ۞ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ**﴾ (يُوسُف/٤٧ - ٤٩)

❁❁❁❁❁

وَبَعْضهَا يَحْتَاجُ إِلَى بَعْضِ الحِيَلِ؛ كَحِيلَةِ (يُوسُفَ عليه السلام) مَعَ إِخْوَتِهِ:

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿**وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ ۞ وَلَمَّا جَهَّزَهُم**

بِجَهَازِهِمْ قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ أَلاَ تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ المُنزِلِينَ ۞ فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلاَ كَيْلَ لَكُمْ عِندِي وَلاَ تَقْرَبُونِ ۞ قَالُوا سَنُرَاوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ ۞ وَقَالَ لِفِتْيَانِهِ اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ۞ فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَى أَبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ۞ قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِن قَبْلُ فَاللهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ۞ وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ۞ قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ اللهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلاَّ أَن يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ۞ وَقَالَ يَا بَنِيَّ لاَ تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنكُم مِّنَ اللهِ مِن شَيْءٍ إِنِ الحُكْمُ إِلاَّ للهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ المُتَوَكِّلُونَ ۞ وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِي عَنْهُم مِّنَ اللهِ مِن شَيْءٍ إِلاَّ حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ ۞ وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلاَ تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۞ فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا العِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ ۞ قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ ۞ قَالُوا نَفْقِدُ صُوَاعَ المَلِكِ وَلِمَن جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ ۞ قَالُوا تَاللهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ ۞ قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِن كُنتُمْ كَاذِبِينَ ۞ قَالُوا جَزَاؤُهُ مَن وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ۞ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ المَلِكِ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ۞ قَالُوا إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِن قَبْلُ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ۞ قَالُوا يَا أَيُّهَا العَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ المُحْسِنِينَ ۞ قَالَ مَعَاذَ اللهِ أَن نَّأْخُذَ إِلاَّ مَن وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِندَهُ إِنَّا إِذًا لَّظَالِمُونَ ۞ فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ اللهِ وَمِن قَبْلُ مَا

فَرَّطتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الحَاكِمِينَ ۞ ارْجِعُوا إِلَى أَبِيكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلاَّ بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ ۞ وَاسْأَلِ القَرْيَةَ الَتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ۞ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ العَلِيمُ الحَكِيمُ ۞ وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ۞ قَالُوا تَاللهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الهَالِكِينَ ۞ قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ ۞ يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلاَ تَيْأَسُوا مِن رَّوْحِ اللهِ إِنَّهُ لاَ يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللهِ إِلَّا القَوْمُ الكَافِرُونَ ۞ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا العَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُّزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللهَ يَجْزِي المُتَصَدِّقِينَ ۞ قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَاهِلُونَ ۞ قَالُوا أَئِنَّكَ لأَنتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ المُحْسِنِينَ ۞ قَالُوا تَاللهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ ۞ قَالَ لاَ تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ اليَوْمَ يَغْفِرُ اللهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ۞ اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ۞ وَلَمَّا فَصَلَتِ العِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلاَ أَن تُفَنِّدُونِ ۞ قَالُوا تَاللهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلاَلِكَ القَدِيمِ ۞ فَلَمَّا أَن جَاءَ البَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ ۞ قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ ۞ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ ۞ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللهُ آمِنِينَ ۞ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى العَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُءْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُم مِّنَ البَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَن نَّزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ العَلِيمُ الحَكِيمُ ۞ رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ المُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي

﴿بِالصَّالِحِينَ﴾ (يُوسُف/٥٨- ١٠١)

❁❁❁❁❁

وَبَعْضهَا يَحْتَاجُ إِلَى حُلُولٍ غَيْرِ تَقْلِيدِيَّةٍ .. [كَمَا مَرَّ بِنَا]

❁❁❁❁❁

هَذَا؛ وَقَدْ يَكُونُ حَلُّ الْمُشْكِلَةِ قَرِيبًا وَمَيْسُورًا، وَلَكِنَّ الإِنْسَانَ قَدْ يَغْفَلُ عَنْهُ.

فَـ(الإِنْسَانُ) -دَائِمًا- يَضَعُ لِنَفْسِهِ صُعُوبَاتٍ وَعَوَاقِبَ وَلَا يَلْتَفِتُ إِلَى مَا هُوَ سَهْلٌ مَيْسُورٌ فِي حَيَاتِهِ، فَمَشَاكِلُ كَثِيرَةٌ فِي حَيَاتِنَا قَدْ تَكُونُ حُلُولُهَا سَهْلَةً بِالتَّفْكِيرِ السَّهلِ فِيهَا. ... وَانْظُرْ فِي ذَلِكَ قِصَّةَ: (السَّجِين وَفُرْصَة النَّجَاةِ):

كَانَ أَحَدُ السُّجَنَاءِ فِي عَصْرِ (لِوِيس الرَّابِعِ عَشَرَ) مَحْكُومًا عَلَيْهِ بِالإِعْدَامِ وَمَسْجُونًا فِي جَنَاحِ قَلْعَةِ هَذَا السِّجْنِ، وَلَمْ يَبْقَ عَلَى مَوْعِدِ إِعْدَامِهِ سِوَى لَيْلَةٍ وَاحِدَةٍ.

وَيُرْوَى عَنْ (لِوِيس الرَّابِعِ عَشَرَ) ابْتِكَارُهُ لِحِيَلٍ وَتَصَرُّفَاتٍ غَرِيبَةٍ، وَفِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ؛ فُوجِئَ السَّجِينُ بِبَابِ الزِّنْزَانَةِ يُفْتَحُ وَ(لِوِيسُ) يَدْخُلُ عَلَيْهِ زِنْزَانَتَهُ مَعَ حَرَسِهِ؛ لِيَقُولَ لَهُ: «أُعْطِيكَ فُرْصَةً؛ إِنْ نَجَحْتَ فِي اِسْتِغْلَالِهَا فَبِإِمْكَانِكَ أَنْ تَنْجُو! هُنَاكَ مَخْرَجٌ مَوْجُودٌ فِي جَنَاحِكَ بِدُونِ حِرَاسَةٍ؛ إِنْ تَمَكَّنْتَ مِنَ العُثُورِ عَلَيْهِ يُمْكِنُكَ الخُرُوجُ، وَإِنْ لَمْ تَتَمَكَّنْ؛ فَإِنَّ الحُرَّاسَ سَيَأْتُونَ غَدًا مَعَ شُرُوقِ الشَّمْسِ لِأَخْذِكَ لِحُكْمِ الإِعْدَامِ».

غَادَرَ الحُرَّاسُ الزِّنْزَانَةَ مَعَ الإِمْبِرَاطُورِ بَعْد أَنْ فَكُّوا سَلَاسِلَ السَّجِينِ، وَبَدَأَتِ المُحَاوَلَاتُ، وَبَدَأَ يُفَتِّشُ فِي الجَنَاحِ المَسْجُونِ فِيهِ وَالَّذِي يَحْتَوِي عَلَى عِدَّةِ غُرَفٍ وَزَوَايَا، وَلَاحَ لَهُ الأَمَلُ عِنْدَمَا اكْتَشَفَ غِطَاءَ فَتْحَةٍ مُغَطَّاةٍ بِسَجَّادَةٍ بِالِيَةٍ عَلَى الأَرْضِ؛ وَمَا إِنْ فَتَحَ الغِطَاءَ حَتَّى وَجَدَ الفَتْحَةَ تُؤَدِّي إِلَى سُلَّمٍ يَنْزِلُ إِلَى سِرْدَابٍ سُفْلِيٍّ وَيَلِيهِ دَرَجٌ أَخَرُ يَصْعَدُ مَرَّةً أُخْرَى، وَظَلَّ يَصْعَدُ إِلَى أَنْ بَدَأَ يَحُسُّ بِتَسَلُّلِ نَسِيمِ الهَوَاءِ الخَارِجِيِّ؛ مِمَّا بَثَّ فِي نَفْسِهِ الأَمَلُ إِلَى أَنْ وَجَدَ نَفْسَهُ -فِي النِّهَايَةِ- فِي بُرْجِ القَلْعَةِ الشَّاهِقِ وَالأَرْضُ لَا يَكَادُ يَرَاهَا.

عَادَ أَدْرَاجَهُ حَزِينًا مُنْهَكًا؛ وَلَكِنَّهُ وَاثِقٌ بِأَنَّ الإِمْبِرَاطُورَ لَا يَخْدَعُهُ.

وَبَيْنَمَا هُوَ مُلْقًى عَلَى الأَرْضِ مَهْمُومًا مُنْهَكًا ضَرَبَ بِقَدَمِهِ الحَائِطَ؛ وَإِذَا بِهِ يَشْعُرُ بِالحَجَرِ الَّذِي يَضَعُ عَلَيْهِ قَدَمَهُ يَتَزَحْزَحُ؛ فَقَفَزَ وَبَدَأَ يَخْتَبِرُ الحَجَرَ، فَوَجَدَ بِالإِمْكَانِ تَحْرِيكَهُ، وَمَا إِنْ أَزَاحَهُ وَجَدَ سِرْدَابًا ضَيِّقًا لَا يَكَادُ يَتَّسِعُ لِلزَّحْفِ؛ فَبَدَأَ يَزْحَفُ، وَاسْتَمَرَّ يَزْحَفُ حَتَّى بَدَأَ يَسْمَعُ صَوْتَ خَرِيرِ مِيَاهٍ، وَأَحَسَّ بِالأَمَلِ لِعِلْمِهِ أَنَّ القَلْعَةَ تَطِلُّ عَلَى نَهْرٍ، وَلَكِنَّهُ -فِي النِّهَايَةِ- وَجَدَ نَافِذَةً مُغْلَقَةً بِالحَدِيدِ أَمْكَنَهُ -فَقَطْ- أَنْ يَرَى مِنْ خِلَالِهَا النَّهْرَ.

فَعَادَ يَخْتَبِرُ كُلَّ حَجَرٍ وَبُقْعَةٍ فِي السِّجْنِ يَبْحَثُ عَنْ أَمَلٍ جَدِيدٍ؛ لَكِنَّ كُلَّ مُحَاوَلَاتِهِ ضَاعَتْ سُدًى .. وَاللَّيْلُ يَمْضِي.

وَاسْتَمَرَّ يُحَاوِلُ .. وَيُفَتِّشُ .. وَفِي كُلِّ مَرَّةٍ يَكْتَشِفُ أَمَلًا جَدِيدًا .. وَفِي كُلِّ مَرَّةٍ يَضِيعُ هَذَا الأَمَلُ؛ فَيَنْتَهِي مَرَّةً إِلَى نَافِذَةٍ حَدِيدِيَّةٍ وَمَرَّةً إِلَى سِرْدَابٍ طَوِيلٍ ذِي تَعَرُّجَاتٍ لَانِهَايَةَ لَهَا؛ لِيَجِدَ السِّرْدَابَ أَعَادَهُ لِنَفْسِ الزِّنْزَانَةِ.

وَهَكَذَا؛ ظَلَّ طُوَالَ اللَّيْلِ يَلْهَثُ فِي مُحَاوَلَاتٍ وَبَوَادِرِ أَمَلٍ تَلُوحُ لَهُ مَرَّةً مِنْ هُنَا وَمَرَّةً مِنْ هُنَاكَ، وَلَكِنَّهَا كُلَّهَا -فِي النِّهَايَةِ- تَبُوءُ بِالفَشَلِ.

وَأَخِيرًا؛ اِنْقَضَتْ لَيْلَةُ السَّجِينِ كُلَّهَا وَلَاحَتْ لَهُ الشَّمْسُ مِنْ خِلَالِ النَّافِذَةِ، وَوَجَدَ وَجْهَ الإِمْبِرَاطُورِ يَطِلُّ عَلَيْهِ مِنَ البَابِ مَعَ حُرَّاسِهِ؛ وَيَقُولُ لَهُ: «أَرَاكَ لَازِلْتَ هُنَا!» قَالَ السَّجِينُ: كُنْتُ أَتَوَقَّعُ أَنَّكَ صَادِقٌ مَعِي -أَيُّهَا الإِمْبِرَاطُورُ! قَالَ لَهُ الإِمْبِرَاطُورُ: «لَقَدْ كُنْتُ صَادِقًا». سَأَلَهُ السَّجِينُ: لَمْ أَتْرُكْ بُقعَةً فِي الجَنَاحِ لَمْ أُحَاوِلْ فِيهَا؛ فَأَيْنَ المَخْرَجُ الَّذِي قُلْتَ لِي! قَالَ لَهُ الإِمْبِرَاطُورُ: « لَقَدْ كَانَ بَابُ الزِّنْزَانَةِ مَفْتُوحًا وَغَيْرَ مُغْلَقٍ»!!!

❁❁❁❁❁

وَجَاءَ فِي (قَصَص وَمَعَانِي) جَمْعُ وَإِعْدَادُ/ عَلَاء صَادِق تَحْتَ عُنْوَان:

المِقْلَاة الصَّغِيرَة وَالسَّمَكَة الكَبِيرَة

يُرْوَى أَنَّ صَيَّادًا كَانَ السَّمَكُ يَعْلَقُ بِصِنَّارَتِهِ بِكَثْرَةٍ، وَكَانَ مَوْضِعَ حَسَدٍ بَيْنَ زُمَلَائِهِ

الصَّيَّادِينَ. وَذَاتَ يَوْمٍ؛ اسْتَشَاطُوا غَضَبًا عِنْدَمَا لَاحَظُوا أَنَّ الصَّيَّادَ المَحْظُوظَ يَحتَفِظُ بِالسَّمَكَةِ الصَّغِيرَةِ وَيُرْجِعُ السَّمَكَةَ الكَبِيرَةَ إِلَى البَحْرِ!!! عِنْدَهَا صَرَخُوا فِيهِ: مَاذَا تَفْعَلُ؟ هَلْ أَنْتَ مَجْنُونٌ؟ لِمَاذَا تَرْمِي السَّمَكَاتِ الكَبِيرَةَ؟ عِنْدَهَا أَجَابَهُمُ الصَّيَّادُ: لأَنِّي أَمْلِكُ مِقْلَاةً صَغِيرَةً.

قَدْ لَا نُصَدِّقُ هَذِهِ القِصَّةَ؛ لَكِنْ لِلْأَسَفِ نَحْنُ نَفْعَلُ كُلَّ يومٍ مَا فَعَلَهُ هَذَا الصَّيَّادُ، نَحْنُ نَرْمِي بِالأَفْكَارِ الكَبِيرَةِ وَالأَحْلَامِ الرَّائِعَةِ وَالِاحْتِمَالَاتِ المُمْكِنَةِ لِنَجَاحِنَا خَلْفَ أَظْهُرْنَا عَلَى أَنَّهَا أَكْبَرُ مِنْ عُقُولِنَا وَإِمْكَانِيَّتِنَا –كَمَا هِيَ مِقْلَاةُ ذَلِكَ الصَّيَّادِ.

هَذَا الأَمْرُ لَا يَنْطَبِقُ فَقَطْ عَلَى النَّجَاحِ المَادِّيِّ؛ بَلْ أَعْتَقِدُ أَنَّهُ يَنْطَبِقُ عَلَى مَنَاطِقَ أَكْثَرَ أَهَمِّيَّةً نَحْنُ نَسْتَطِيعُ أَنْ نُحِبَّ أَكْثَرَ مِمَّا نَتَوَقَّعَ، أَنْ نَكُونَ أَسْعَدَ مِمَّا نَحْنُ عَلَيْهِ .. أَنْ نَعِيشَ حَيَاتَنَا بِشَكْلٍ أَجْمَلَ وَأَكْثَرَ فَاعِلِيَّةً مِمَّا نَتَخَيَّلُ.

يُذَكِّرُنَا أَحَدُ الكُتَّابِ بِذَلِكَ؛ فَيَقُولُ: (أَنْتَ مَا تُؤْمِنُ بِهِ)، لِذَا فَكِّرْ بِشَكْلٍ أَكْبَرَ، احْلَمْ بِشَكْلٍ أَكْبَرَ، تَوَقَّعْ نَتَائِجَ أَكْبَرَ، وَادْعُ اللهُ أَنْ يُعْطِيَكَ أَكْثَرَ.

مَاذَا سَيَحْدُثُ لَوْ رَمَيْتَ بِمِقْلَاتِكَ الصَّغِيرَةِ الَّتِي تَقِيسُ بِهَا أَحْلَامَكَ وَاسْتَبْدَلْتَ بِهَا وَاحِدَةً أَكْبَرَ؟

مَاذَا سَيَحْدُثُ لَوْ قَرَّرْتَ أَنْ لَا تَرْضَى بِالحُصُولِ عَلَى أَقَلِّ مِمَّا تُرِيدُهُ وَتَتَمَنَّاهُ؟

مَاذَا سَيَحْدُثُ لَوْ قَرَّرْتَ أَنْ حَيَاتَكَ يُمْكِنُ أَنْ تَكُونَ أَكْثَرَ فَاعِلِيَّةً وَأَكْثَرَ سَعَادَةً مِمَّا هِيَ عَلَيْهِ الآنَ؟

مَاذَا سَيَحْدُثُ لَوْ قَرَّرْتَ أَنْ تَقْتَرِبَ مِنَ (الله) أَكْثَرَ وَتَزْدَادَ بِهِ ثِقَةً وَأَمَلًا؟

مَاذَا سَيَحْدُثُ لَوْ قَرَّرْتَ أَنْ تَبْدَأَ بِذَلِكَ اليَوْمَ؟

وَلَا نَنْسَ حَدِيثَ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ؛ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**إِذَا سَأَلْتُمُ اللهَ؛ فَاسْأَلُوهُ الفِرْدَوْسَ الأَعْلَى**».

وَلَكِنْ قَدْ يَتَبَادَرُ إِلَى الذِّهْنِ هَذَا التَّسَاؤُلِ:

وَلَكِنْ مَاذَا لَوْ بِالفِعْلِ اسْتَبْدَلْنَا مِقْلَاتَنَا بِمِقْلَاةٍ أَكْبَرَ؛ ثُمَّ لَمْ نَجِدْ سَمَكًا بِحَجْمِ مِقْلَاتِنَا؟

هَلْ تَعْتَقِدُ أَنَّ السَّمَكَ الصَّغِيرَ سَيَكُونُ لَهُ طَعْمٌ فِي تِلْكَ المِقْلَاةِ الكَبِيرَةِ؟

كَلَامِي لَيْسَ سَلْبِيًّا وَلَا أُحِبُّ أَنْ أَطْرَحَ شَيْئًا يَحْمِلُ نَوْعًا مِنَ التَّشَاؤُمِ.

وَلَكِنْ مَاذَا يَفْعَلُ صَيَّادٌ صَغِيرٌ لَدَيْهِ مِقْلَاةٌ كَبِيرَةٌ لَمْ تَرَ سِوَى صِغَارِ صِغَارِ السَّمَكِ؟

رُغْمَ تَفَاؤُلِهِ كُلَّ صَبَاحٍ وَهُوَ ذَاهِبٌ لِلصَّيْدِ وَتَفَاؤُلِهِ أَيْضًا عِنْدَ رُجُوعِهِ وَلَيْسَ بِحَوْزَتِهِ سِوَى سَمَكَاتٍ صَغِيرَةٍ .. فَعَلَ كُلَّ مَا بِوِسْعِهِ غَيْرَ البُحَيْرَةِ وَالصِّنَّارَةِ وَ ....

وَفِي الأَخِيرِ نَفْسِ النَّتِيجَةِ: هَلْ يَظَلُّ يَمْشِي وَرَاءَ تَفَاؤُلٍ مُظْلِمٍ .. أَمْ يَنْهَزِمُ وَيُصَغِّرُ مِقْلَاتَهُ؟؟

وَالجَوَابُ:

وَاحِدَةٌ مِنْ أَهَمِّ الحَقَائِقِ الَّتِي وَصَلَ إِلَيْهَا (عِلْمُ النَّفْسِ) فِي عِصْرِنَا: أَنَّ (الإِنْسَانَ) لَدَيْهِ القُدْرَةُ عَلَى أَنْ يَعِيشَ الحَيَاةَ الَّتِي يُرِيدُهَا هُوَ .. لَدَيْنَا القُدْرَةُ أَنْ نَعِيشَ كَمَا نَشَاءُ..

وَالخُطْوَةُ الأُولَى هِيَ الحُلْمُ .. لَنَا الحَقُّ أَنْ نَحْلَمَ بِمَا نُرِيدُ أَنْ نَكُونَهُ وَبِمَا نُرِيدُ أَنْ نُنْجِزَهُ.

الحُلْمُ الكَبِيرُ سَيَضَعُ أَمَامَنَا أَهْدَافًا؛ وَهَذِهِ الخُطْوَةُ الثَّانِيَةُ .. هَدَفٌ يَشْغَلُنَا صَبَاحَ مَسَاءَ لِتَحْقِيقِهِ وَإِنْجَازِهِ.

لَيْسَ لَنَا عُذْرٌ .. هُنَاكَ العَشَرَاتُ مِنَ المُقْعَدِينَ وَالضُّعَفَاءِ حَقَّقُوا نَجَاحَاتٍ مُذْهِلَةٍ .. هُنَاكَ عَاهَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَطْ قَدْ تَمْنَعُنَا مِنَ النَّجَاحِ وَالتَّفَوُّقِ وَتَحْوِيلِ التَّفَاؤُلِ إِلَى وَاقِعٍ ..

هَلْ تَوَدُّ مَعْرِفَتَهَا؟ .. إِنَّهُ الحُكْمُ عَلَى أَنْفُسِنَا بِالفَشَلِ وَالضَّعْفِ وَانْعِدَامِ القُدْرَةِ.

الصَّيَّادُ الَّذِي لَا يَجْنِي إِلَّا السَّمَكَاتِ الصَّغِيرَةَ لَا بُدَّ أَنْ يَتَّخِذَ خُطْوَةً إِيجَابِيَّةً .. أَنْ يُغَيِّرَ مَكَانَ الِاصْطِيَادِ .. أَنْ يَسْتَخْدِمَ صِنَّارَةً أُخْرَى .. أَنْ يَتَخَيَّرَ وَقْتًا آخَرَ ..

التَّفَاؤُلُ وَحْدَهُ لَا يُغْنِي وَلَا يُسْمِنُ ..

لَكِنَّ التَّشَاؤُمَ هُوَ القَاتِلُ الَّذِي أَجْرَمَ فِي حَقِّ عَشَرَاتٍ مِنَ الشَّبَابِ وَالشَّابَّاتِ الَّذِينَ نَرَاهُمْ هُنَا وَهُنَاكَ تَعْلُوهُمْ نَظْرَةُ الحَيْرَةِ وَاليَأْسِ.